التغليب ومواضعهِ
في النصّ القرآني

المدرس الدكتور
نجم عبد مسلم الفحام
جامعة القادسية / كلية الآداب

التغليب ومواضعه في النصّ القرآني

المدرس الدكتور

نجم عبد مسلم الفحام

جامعة القادسية / كلية الآداب

الخلاصة:

التغليب من الظواهر الدلالية التي عرفتها العرب في جاهليتهم وإسلامهم وأجروها في كلامهم، شعرهم ونثرهم، وصولا إلى أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة بأقل الألفاظ وأقواها حكما، فقد عرفته بكل أنواعه وأحكامه، فالزركشي (تـ ٧٩٤هـ) أول من خصّص بابا في كتابه البرهان فقد جمع جملة فذكر حدّه وأنواعه معززا ذلك بالأمثلة.

والعرب إنما سلكت هذا المذهب في كلامها للتنبيه على مزية المغلب وأهميته، ولهذه الدقيقة المعنوية أجرت التغليب في كلامها، وعلى سنتها نزل الذكر الحكيم بما يتجاوز حدود كلامها المعتاد فصاحة وبلاغة فكان التغليب في القران الكريم مظهرا من مظاهر الإعجاز القرآني الذي تحدى الإنس والجن معا على أن يأتوا بمثله، لهذا توافر على دراسته وبيان مزاياه ومحاسنه علماء العربية الأوائل والمتأخرون على اختلاف مشاربهم وتنوع اتجاهاتهم، فجاء موزعا فيما تركوه من كتب التفسير وعلوم القران واللغة والنحو، غير أن الجدير بالذكر أني لم أجد أن القدامى افردوه بالتأليف كما فعلوا في كثير من الموضوعات، وإنما ذكروه في أثناء مؤلفاتهم موزعا بحسب الموضوعات التي يدخل فيها التغليب، خلافا للمحدثين فإنهم قد أفردوه بالتأليف منهم: الدكتور عبد الوهاب حسن حمد الذي استقصى الذين كتبوا في هذه الظاهرة الدلالية، وقد أفاد الباحث منها بشكل كبير.

التغليب لغة:

جاء في اللسان "رجل غلبة وغلبة: غالب، كثير الغلبة، وقال اللحياني: شديد الغلبة، وقال: لتجدنه غلبة عن قليل، وغلبة أي غلابا، والمغلب: المغلوب مرارا، والمغلب من الشعراء: المحكوم له بالغلبة على قرنه، كأنه غلب عليه، وفي الحديث:

أهل الجنة الضعفاء المغلبون، المغلب: الذي يغلب كثيرا، وشاعر مغلب أي كثيرا ما يغلب، والمغلب أيضا: الذي يحكم.....، وتغلب على بلد كذا: استولى عليه قهرا، وغلبته أنا عليه تغليبا، قال: محمد بن سلام: إذا قالت العرب: شاعر مغلب، فهو مغلوب، وإذا قالوا: غلب فلان، فهو غالب، ويقال: غلبت ليلى الأخيلية على نابغة بني جعدة، لأنها غلبته، وكان الجعدي مغلبا"[١].

وجاء في التاج "الغَلْب بفتح فسكون ويحرك، وهي أفصح، والغلبة محركة، والمغلبة بالفتح، وهو قليل، والمغلب، بغير هاء، وهما مصدران ميميان"[٢].

فقد تغلّب العرب شيئا ما في كلامها فيكون غالبا، وقد يغلّب رديفه فيكون مغلوبا[٣].

التغليب اصطلاحا:

هو تحصيل الغلبة للشيء بإعطائه حكم غيره لعلّة ترجح ذلك الحكم عند الاجتماع أو المصاحبة أو الاختلاط أو المشاكلة أو المشابهة، وعند النسبة، كما يقال: بنو فلان قتلوا قتيلا، والقاتل واحد منهم، والغالب في العلة المرجحة للتغليب القوة، فإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلّب المذكر، لأصالته وكثرته، والتأنيث هو الفرع والأقل، وإذا اجتمع العاقل وغيره غلب الأول، لأنه الأشرف والأقوى بالعقل وما إلى ذلك، وبذلك يتبين أن الحد الذي يصدق على التغليب هو: الحكم بغلبة أحد الشيئين المجتمعين أو المتصاحبين أو المختلطين أو المتشاركين أو المتشابهين والمتقاربين بإعطائه حكمه أو إحلاله محله أو في نسبته إليه لعلّة مرجحة لذلك الحكم، وهي في الغالب القوة[٤].

فالتغليب –باعتباره ظاهرة– ترجيح شيء أو أشياء على شيء أو أشياء في مختلف جوانب اللغة، الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، إيثارا للسهولة والتيسير في النطق أو انسجاما مع ما شاع واشتهر على ألسنة أهل اللغة[٥].

ولا تعدم ظاهرة التغليب وجودا في كتب اللغويين القدامى فهذا سيبويه(تـ١٨٠هـ) ذكر تغليب المذكر على المؤنث في العدد المركب إذا كان المعدود مختلطا[٦]، وعقد بابا لما غلبت فيه المعرفة النكرة[٧]، وآخر لما يكون فيه الشيء غالبا عليه اسم[٨] وهو ما لزم الألف واللام من الأسماء والصفات والمثنى.

وأما معاذ الهراء "١٨٧هـ" كان يقول: لقد قيل سنة العمرين قبل عمر بن عبد العزيز[٩]، والكسائي "١٨٩هـ" قد روي عنه قوله: إن من شأن العرب إذا اجتمع اسمان من جنس واحد وكان احدهما اخف أو أشهر غلبوه فسموا الآخر باسمه[١٠].

أما الفراء "٢٠٧هـ" فقد صرح بالتغليب في التاريخ إذا أبهم العدد[١١]، وفي العدد المركب إذا كان المعدود مختلطا[١٢]، وفي المثنى الجاري على لفظ الأشهر[١٣]،

وفي الجمع يجمع أصحاب المغلب داخلين في اسمه، لأنه الأشهر[١٤]، وأشار إليه في الخطاب بالإسناد إلى الأحياء، لأنهم داخلون مع أمواتهم في العلة، وهو كقولك للقوم: قد قتلناكم وهزمناكم، تريد قتلنا منكم فتواجههم بالقتل وهم أحياء[١٥].

وأبوعبيدة "٢١٠هـ" قد صرح بتغليب المذكر والمؤنث إذا جمعا أو أشرك بينهما ما في صفة[١٦] أو ضمير[١٧] أو تثنية[١٨] أو جمع[١٩] او فعل[٢٠]، كما صرح بتغليب العاقل على غيره إذا أشرك أو خلط بينهما في اسم موصول[٢١] أو إشارة[٢٢] أو جمع[٢٣] او فعل[٢٤]، واستدل على ذلك بمذاهب العرب في كلامها، لان في القران الكريم ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني[٢٥]، وكذلك ابن السكيت(٢٤٤هـ)، صرح بتغليب الليالي على الأيام في التاريخ، لان ليلة كل يوم قبله[٢٦]، كما صرح بتغليب المذكر على المؤنث في العدد المركب إذا كان المعدود مختلطا[٢٧]، وبتغليب احد الاسمين على صاحبه من الناس لشهرته او لخفته[٢٨]، و أما المبرد: "٢٨٥هـ" فقد ذهب إلى أنّ الشيئين إذا جريا في باب واحد غلب لفظ احدهما على الآخر، إيثارا للخفة والفصاحة، وذلك إذا جمع بينهما في تثنية او جمع جرى عليهما اللفظ واحدا، وهو المذكر أو الأب أو المفرد[٢٩] أو الفعل[٣٠] المتعدي بنفسه، لان المعنى يؤول إلى شيء واحد.

وكذلك إذا خلط بين شيئين في عموم سابق جرى لفظ احدهما على الاخر إذا كان في مثل معناه وان كان لفظه مخالفا[٣١].

وأبو بكر الانباري: "328هـ" فصل القول في تغليب التذكير في العدد إذا كان المعدود مختلطا[٣٢]، لان المذكر والمؤنث من الناس إذا اجتمعا غلب المذكر على المؤنث[٣٣]، وبين علة تغليب الليالي على الايام في التاريخ[٣٤]، وفي باب الجمع بين المذكر والمؤنث تناول تغليب المذكر على المؤنث في الخبر والنعت، و يذكر دواعي ذلك[٣٥].

وأبو الطيب اللغوي: "351هـ" ذكر من الأسماء المثنّاة ما غلب اسم احدهما على اسم صاحبه[٣٦]، حيث عرض المسموع منها شعرا ونثرا، غير انه لم يذكر الدواعي إلا نادرا[٣٧]، وفي باب آخر عرض ما ثنيا باسم أب أو جد أو احدهما ابن الآخر، فغلب اسم الأب[٣٨].

وأما ابن جني: "392هـ" فقد بين طريقة التثنية على لفظ احد المعلومين[٣٩]، وصرح بتغليب الحاضر على الغائب بإطراح حكم الغائب[٤٠]، وتغليب الأخف على

الأثقل في القلب[٤١]، وتغليب التذكير في العموم على التأنيث[٤٢]، وتغليب الحركة الأقوى بنقلها وإلقائها على الحركة الأضعف عند اجتماعهما في موضع واحد[٤٣].

ومن خلال ما تقدم يتبين مقدار اهتمام علماء العربية القدامى بالتغليب كما تتوضّح الأصول الأولى التي بنى عليها من تلاهم دراساتهم[٤٤].

مواضع التغليب:

التغليب يجري في أنواع من المعاني وأساليب من الكلام كثيرة، حيث تتنوع المقامات وتختلف السياقات والدواعي وتبعا لذلك تعددت مواطن التغليب وهي ما اجتمعت فيها الأطراف المتناقضة، كما أن التغليب أمر لفظي، حيث يكون فيه ظاهر اللفظ للمغلب، ولما كانت ظواهر الألفاظ مختلفة تنوعت لذلك مواطنه وتعددت أيضا وبذلك نستطيع أن نقسم مواطن التغليب المقامية فكانت المباحث[٤٥]:

المبحث الأول

التغليب في الخطاب

يغلّب المخاطب على الغائب إذا جمعا وكانا مأمورين جميعا، فالقياس تغليب الحاضر لحضوره وقربه على الغائب لمغيبه وبعده[٤٦].

والعرب تغلب الأقرب على الأبعد، لان القريب عندهم أقوى من البعيد[٤٧] بدليل تغليب المتكلم على المخاطب، وهما على الغائب في مواضع الضمير، قال القطامي[٤٨]:

ابلغ ربيعة أعلاها وأسفلها أنا وقيسا تواعدنا لميعاد

فغلب المتكلم على الغائب في "تواعدنا" وهذا يدل على ان المتكلم اسبق من الغائب[٤٩].

وتقول: أنت وهو فعلتما، ولا تقول: فعلا[٥٠]، وتقول: أنت وزيد قمتما، ولا تقول: قاما، فالحكم للقوي عند الاجتماع، تقول: قمت وأنت، ثم تقول: قمنا، وقام هو وأنت ثم تقول: قمتما فتغلب المخاطب على الغائب[٥١]، لان التقريب أقوى من البعيد، فالقياس تقديم الأقرب في الرتبة على الأبعد، وكذلك تغليب الأقرب على الأبعد إذا اجتمعا، فان كان المأمور جماعة بعضهم حاضر وبعضهم غائب، فالقياس تغليب

الحاضر، نحو افعلا، لحاضر وغائب، وافعلوا لمن بعضهم حاضر[٥٢]، لان العناية به اكبر لحضوره وقربه.

إن الله تعالى خاطب بالقران العرب على ما يعرفونه من كلامهم، وجرى به خطابهم بينهم، لأنه نزل بلسانهم وعلى مذاهبهم، فلما كان معروفا في كلامهم تغليب الخطاب على الغيبة إذا جمع بينهما، خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم في ذلك من الكلام بينهم، وما قد عرفوه في منطقهم، فجاء التغليب في الخطاب على أضرب، وهي:

1- تغليب الحاضرين على الغائبين: وذلك نحو قوله تعالى: **(لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ)**(النور: من الآية٦١).

ففي (أنفسكم) تغليب للمخاطب لما اجتمع مع غيره إذ التقدير: ولا عليكم أيها الناس[٥٣]، فاجتمعت الطائفتان في أن كل واحد منها منفي عنها الحرج[٥٤] فغلب المخاطب لينتظم الكلام حيث جمع بين خبر الغائب والمخاطب[٥٥].

قال الطبري: "وكذلك تفعل العرب إذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب غلبت المخاطب فقالت: أنت وأخوك قمتما، وأنت وزيد جلستما، ولا تقول: أنت وأخوك جلسا، وكذلك قوله: **(ولا على أنفسكم)** والخبر عن الأعمى والأعرج والمريض غلب المخاطب فقال: (أن تأكلوا) ولم يقل أن يأكلوا"[٥٦].

فالتغليب جمع بين الطرفين لاشتراكهم في نفي الحرج فخوطبوا جميعا بلفظ واحد تغليبا للحاضرين، لأنهم الأقرب، وهم المستمعون، فيكون الخطاب شاملا لهم إيثارا للإيجاز والتخفيف ولبعده عن اللبس.

ومن الخطاب ما جاء فيه تغليب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعا، نحو قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**(البقرة:21) فقد غلب المخاطبين[٥٧]، فاخرج قوله **(لعلكم تتقون)** على لفظ الخطاب، والمعنى انه خلقكم ومن قبلكم من الأمم السالفة في صورة من يرجى منه التقوى فغلب المخاطبين لما اجتمعوا مع الغائبين في الخبر واخرج الكلام على الخطاب تغليبا للحاضرين، لأنهم المأمورون بالعبادة.

ونظيره قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ.....، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)**(النساء:1).

أي أن الله لم يزل رقيبا على الناس[٥٨] الحاضرين منهم والغائبين منهم من الأمم السالفة، فلما جمع بين المخاطب والغائب في الخب، اخرج الكلام على الخطاب تغليبا للحاضرين، لأنهم المقصودون به، وكذلك تفعل العرب إذا جمعت بين خبر المخاطب والغائب فتخرج الكلام على التغليب للخطاب على الغيبة.

ونحوه قوله تعالى:(**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**)(الإسراء: من الآية85)، فقد عنى بذلك الذين سألوا رسول الله(ﷺ) عن الروح وجميع الناس غيرهم، ولكن لما ضم غير المخاطب إلى المخاطب خرج الكلام على المخاطبة[٥٩]، لأنه اجتمع في الكلام مخبر عنه وغائب ومخاطب فاخرج الكلام خطابا للجمع تغليبا للحاضرين على الغائبين، والمعنى على إرادتهم جميعا.

والتغليب قد يكون للأحياء لحضورهم على أمواتهم لمغيبهم إذا اخبر عنهم جميعا بأمر قد كانوا مشتركين فيه فيخرج الخبر عن الفريقين على وجه الخطاب تغليبا للحاضرين على الغائبين، نحو قوله تعالى: (**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**)(البقرة: من الآية143).

اسند الإيمان إلى الأحياء من المؤمنين، ويريد إيمانهم، لأنهم سألوا عمن مات من إخوانهم قبل أن تحول القبلة، وعلى ما كان من صلاتهم، فجاء الخطاب للفريقين، لأنهم داخلون معهم في الملة وقال: (إيمانكم) للأحياء والأموات تغليبا للأحياء على الأموات، وهو كقولك للقوم: قد قتلناكم وهزمناكم تريد: قتلنا منكم فتواجههم بالقتل وهم أحياء[٦٠]، لان من شان العرب إذا اخبروا عن حاضر وغائب ان يغلبوا الخطاب، فيقولوا كنت أنت وفلان الغائب فعلتما[٦١]، ونظيره تغليب الحاضرين من اليهود في زمن الرسول الكريم(ﷺ) على امواتهم في قوله تعالى: (**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ**) (البقرة: من الآية49)، وقوله:(**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ**) (البقرة: من الآية50)، وقوله: (**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً**) (البقرة: من الآية72)، و قوله:(**قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى**) (طه: من الآية80) فأضاف ما كان من نعمة على آبائهم اليهم تغليبا للأحياء منهم على الأموات[٦٢]، لأنهم على شاكلتهم في الكفر والعصيان ولان الآباء أصل، والأبناء تبع لهم فحين جمعوا في الخطاب غلب الآباء عليهم، للدلالة على الأصالة والتبعية كما غلب المؤمنون على أهليهم حين جمعوا معهم في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً**) (التحريم:من الآية6) على قراءة من قرأ[٦٣] (أهلوكم) مرفوعا عطفا على واو (قوا) فكأنه قيل: قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم فتكون النفس شاملة لأنفس المؤمنين ولأنفس الاهلين بتغليب المخاطبين الذين هم المؤمنون على الاهلين الذين هم الغيب، وجعل ضميرهما معا على لفظ المخاطب[٦٤].

ونظيره قوله تعالى: (**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ.....، وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ**)(البقرة: من الآية83) الخطاب في قوله: (**ثم توليتم**) مع الموجودين منهم في عهد رسول الله(ﷺ) ومن قبلهم على التغليب[٦٥]، لأنه لبني إسرائيل جميعا بتغليب أخلافهم على أسلافهم لجريان ذكرهم كلهم حينئذ، وهو

خطاب مشافهة[٦٦]، فهو بالحاضرين أليق، فكأنه تعالى بين ان تلك العهود والمواثيق كما لزمهم التمسك بها، تلزمكم أيضا، لأنكم تعلمون ما في التوراة من حال محمد(ﷺ) وصحة نبوته، فيلزمكم من الحجة مثل الذي لزمهم، وانتم مع ذلك قد توليتم، كما قال تعالى: (**فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**)(البقرة: من الآية91).

فليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتلة، وإنما قتل الأنبياء أسلافهم الذين مضوا فتولوهم على ذلك، ورضوا به، فنسب القتل إليهم، على معنى لم ترضون بذلك[٦٧].

ومنه قوله تعالى: (**وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً**)(الإسراء:104)، أي من بعد فرعون وإغراقه[٦٨].

وفي (بكم) تغليب المخاطبين على الغائبين، والمراد بهم وبكم، واللفيف: الجماعات من قبائل شتى ليس أصلهم واحدا[٦٩].

ونحوه قوله تعالى حاكيا عن المشركين: (**أَإِذا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ**) (الصافات:17- 18).

الخطاب في (وانتم داخرون) للمشركين وآبائهم بطريق التغليب[٧٠]، والتقدير: تبعثون انتم وآباؤكم الأولون، وانتم وهم صاغرون، فلما ضم إليهم آباءهم جعلهما على لفظ الخطاب تغليبا لهم، لحضورهم على أمواتهم لمغيبهم، ولاشتراكهم في الكفر، ويوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا، كما قال تعالى: (**ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**)(العنكبوت: من الآية25).

أي يقوم بينكم أيها المشركون التناكر والتلاعن إذ يتلاعن العبدة، ويتلاعن العبدة والأصنام على تغليب المخاطبين[٧١]، والمراد هم وأسلافهم في الكفر وفيه أيضا تغليب المخاطبين العقلاء كقوله تعالى(**جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَأُكُمْ فِيهِ**)(الشورى: من الآية11).

فالخطاب في (يذرؤكم) شامل للعقلاء والأنعام مغلبا فيه المخاطبون على الغيب[٧٢]، نظيره قوله تعالى: (**وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ**)(الزمر: من الآية6).

فقد غلب أولي العقل وخصهم بالخطاب، لأنهم المقصودون والقرينة عقلية إذ لا يصلح للخطاب غيرهم، وفيه إخبار عن غيّب، فغلب المخاطبين على الغيّب.

وقد اشتمل على جهتي التغليب، وذلك لان الأنعام غائب غير عاقل، فإذا أدخلت في خطاب العقلاء كان فيه تغليب العقل والخطاب معا، والتغليب لأجل العقل والخطاب من الأحكام ذات العلتين، لان الخطاب أقوى وارسخ أصلا من الغيبة، دليله قوله تعالى: (**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**)(النمل: من الآية47) وقوله: (**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**)(النمل: من الآية55)، لان قوما اسم ظاهر غائب وقد حمل على "انتم" فصار عبارة عن المخاطبين، ثم انه وصف يفتنون وتجهلون اعتبارا لجهة خطابه الحاصلة

بحمله على (انتم)، وترجيحا لها على جهة غيبته الثابتة له في نفسه، لان الخطاب اشرف وأدل وجانب المعنى أقوى وأكمل، وبهذا يتضح صحة انه من التغليب[٧٣]، وهو في الحقيقة تغليب لجانب المعنى، وترجيح له على جانب اللفظ، إذ غلب جانب (انتم) على جانب (قوم)، لكونه اسما مظهرا، لكنه في المعنى عبارة عن المخاطبين، فغلب جانب الخطاب على جانب الغيبة، لاجتماع الغيبة والمخاطبة، وبهذا يكون (انتم) صالحا للحاضرين والغائبين منهم على التغليب، والتقدير: انتم وهم جميعا تجهلون، نظيره قوله تعالى: (**فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ**)(الصافات:161-162).

فانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب[٧٤]، والمعنى: فإنكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه إنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها[٧٥].

فالخطاب في (انتم) للكفرة ومعبوديهم على سبيل التغليب، نحو أنت وزيد تخرجان[٧٦]، فهو يشملهم جميعا، لأنه عام فيهم وفي غيرهم كقوله تعالى: (**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا.....، قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**)(النور: 63- 64).

فالخطاب في (ما انتم عليه) عام[٧٧] في المؤمنين والمنافقين ودخول المنافقين مع أن الخطاب فيما قبل للمؤمنين بطريق التغليب[٧٨]، لان المعنى قد يعلم ما انتم عليه أيها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والإخلاص، لأنه لا يخفى عليه تعالى أحوال المنافقين، وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون وإخفائها[٧٩]، فالمراد: المخاطبون وأمثالهم من المكلفين، والأصل: يعلم ما انتم عليه وهم من المخالفة والموافقة والنفاق والإخلاص فشملهم جميعا في الخطاب تغليبا للمؤمنين على المنافقين، لأنهم الأصل في الخطاب لحضورهم وقربهم وبعد الكفار والمنافقين فهم في حكم الغائبين وإنما جمعهم لاشتراكهم في التكليف كما جمع الشركاء في قوله تعالى: (**ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ**)(الروم: من الآية28).

فالخطاب في (انتم) شامل للمماليك بطريق التغليب، لان المعنى: انتم وهم مستوون فيما رزقناكم من الأموال وتفسيرها لا فرق بينكم وبينهم في التصرف فيه[٨٠].

ونظيره تغليب القادرين من الأولياء والأزواج في قوله تعالى: (**وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**)(البقرة: من الآية237).

ونظيره تغليب آخر وهو تغليب الذكور على الإناث كما أن فيه حثّا وتهديدا للطائفتين[٨١].

ونحوه قوله تعالى: (**وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ**)(البقرة: من الآية229) على قراءة[٨٢] (تخافا وتقيما) بتغليب المخاطبين على الزوجات الغائبات[٨٣] والتعبير بالتثنية باعتبار الفريقين.

ويجري في الخطاب تغليب المؤمنين على الكافرين إذا جمعوا في الإخبار عنهم، نحو قوله تعالى: (**فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**)(يونس: من الآية58) قرأ[٨٤] (يجمعون) بالياء والتاء فمن قرأ بالياء فعلى انه خبر عن اهل الشرك بالله، يقول: فبالإسلام والقران الذي دعاهم إليه فليفرح هؤلاء المشركون لا بالمال [٨٥]، ومن قرأ بتاء الخطاب فانه عنى المخاطبين والغائبين جميعا، الا انه غلب الخطاب وأراد المؤمنين على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون[٨٦]، ومنه تغليب المخاطب على الغائب: وذلك إذا كان احد المجتمعين في الخطاب حاضرا والآخر غائبا، فيغلب الحاضر لقربه على الغائب لبعده ومغيبه، نحو قوله تعالى: (**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا**)(المجادلة: من الآية1).

أي تراجعكما الكلام، وهو على تغليب الخطاب[٨٧]، لان هنا إنما هو للنبي(ﷺ)، لقوله (تجادلك) فلما جمع تعالى بين خبريهما أخرجه على تغليب المخاطب، فقال (تحاوركما)، ولم يقل (تحاورك(وتحاورها فجاءا على لفظ الخطاب لقوة الحضور وغلبته الغائب.ونظيره قوله تعالى:(**إِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي**)(طه:42) فجمع هارون مع موسى "عليهما السلام" في صيغة نهي الحاضر بناء على القول بغيبته إذ ذاك للتغليب[٨٨].

ولا بعد في ذلك فقد افرده بالخطاب أولا، ثم جمعهما مغلبا موسى "عليه السلام"، لأنه الأصل في الرسالة، وهرون "عليه السلام" وزيره، كما قال: (**وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**) (طه: 29-32)، لذلك نظمه في سلك الخطاب تشريفا له، وان كان أصل الكلام لموسى "عليه السلام" كما قال تعالى: (**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً**)(النساء: من الآية164)، وذلك نظير قوله تعالى: (**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا**)(الكهف: من الآية61) وكان الذي يحمل الحوت واحدا، وهو فتى موسى[٨٩]، يدل على ذلك قوله: (**فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ**)(الكهف: من الآية63) وهو من تغليب الاثنين على الواحد في غير الخطاب، ونحوه قوله تعالى: (**قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ**) (يونس:77- 78)، فقد خاطبوا موسى أولا، لأنه الأصل في الرسالة وهرون وزيره ثم جمعوا بينهما للتغليب في الخطاب، لاشتراكهما في الرسالة، وان كان موسى هو الأصل، قيل ومنه قوله تعالى حاكيا عن

فرعون: (**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى**)(طه:49) فقال: (فمن ربكما) على تغليب الخطاب، وحجته ان المعنى: فمن ربك وربه يا موسى[٩٠]، لأنه الأصل في النبوة، وهرون وزيره وتابعه، فغلبه في الخطاب بدليل توجيه النداء إليه، لأنه المخاطب، كما قال تعالى: (**فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**)(طه: من الآية 117) ولم يقل فتشقيا، لان ادم "عليه السلام" هو المخاطب[٩١] وحواء تبع له لاشتراكهما في الخروج، كما اشترك موسى وهرون في الدعوة لقوله تعالى: (**قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا**)(يونس: من الآية 89) فقد نسبت الدعوة إليهما، وموسى كان هو الداعي وهرون المؤمن، والتامين كالدعاء[٩٢]، والدليل على أن النداء لهما قول موسى: (**قَالَ رَبُّنَا**)(طه: من الآية50)، ولم يقل: رب[٩٣]، كما اسند تعالى القول إليهما في قوله: (**قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا**)(طه: من الآية45) ومنه قوله تعالى: (**فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ**)(النمل: من الآية36) الخطاب في (أتمدون) للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب[٩٤]، وإطلاقا للجمع على الاثنين، ويؤيده ضمير الرسول في قوله تعالى: (**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ**)(النمل: من الآية37) وهو خطاب للواحد، وهو الرسول[٩٥].

2- تغليب غير المتصف بالشيء على المتصف به:

وذلك إذا كان الوصف في الأصل لقلة من المشتركين في شيء فيغلب جميعهم على قليلهم، لنكتة معنوية كالتخويف أو التهديد أو التبكيت أو الإلزام أو التهيج وما أشبه ذلك،

والغالب فيه تغليب الجمع على التثنية، نحو قوله تعالى: (**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ**)(التحريم: من الآية5).

جاء الخطاب لجميع أزواجه(ﷺ) على التغليب[٩٦]، واصل الخطاب لا ثنتين منهن "رضي الله عنهن"، وهما المخاطبتان أولا بقوله: (**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**)(التحريم: من الآية4) فكأنه قيل عسى ربه أن طلقكما وغيركما أن يبدله خيرا منكما ومن غيركما من الأزواج فغلب الطلاق على الجميع، لان الله تعالى كان عالما انه(ﷺ) لا يطلقهن، لكن اخبر عن قدرته انه إن طلقهن أبدله خيرا منهن تخويفا لهن[٩٧]، وان كان المراد بالجمع التثنية فغلب الجميع عليهما، دليله قوله تعالى: (قلوبكما)، لان أكثر ما يكون عليه الجوارح اثنان اثنان في الإنسان كاليدين والرجلين والعينين، فلما جرى أكثره على ذلك ذهب بالواحد منه إذا أضيف إلى اثنين فصاعدا مذهب الجمع فقيل: قد هشمت رؤسهما، وملأت ظهورهما وبطونهما ضربا[٩٨]،

فلما كثر في هذه الجوارح التثنية، والتثنية جمع، غلبت هذه الجوارح على المفردة، فدخل القليل في الكثير تغليبا،

لذلك قال تعالى: (**فقد صغت قلوبكما**) وإنما هما قلبان، ونحوه قوله تعالى: (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**)(المائدة: من الآية38) وتقول العرب: اضرب أعناقهما، وهذا أفصح في استعمالهم[٩٩]، ولذلك ساغ تغليب الجمع على المثنى في الخطاب، لجريان أكثر كلامهم على هذا وللمبالغة في المعنى، قيل[١٠٠]: ومنه قوله تعالى: (**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا**)(البقرة: من الآية23)، وقوله (**إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ**)(الحج: من الآية5).

وذلك انه غلب غير المرتاب على المرتاب فقد كان بعضهم مرتابا وبعضهم غير مرتاب يعلم انه من عند الله تعالى ولكن ينكر ذلك عنادا، فغلب غير المرتاب وهو المشكوك في ريبة على المرتابين جزما فصار الجميع كالمشكوك في اتصافهم بالريب، وقيل[١٠١]: ومنه قوله تعالى: (**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي**)(يونس: من الآية104) وذلك أن فيهم من كان غير شاك فغلب ذكرهم على من كان يشك فيه للتبكيت والإلزام،

3- تغليب الجماعة على الواحد:

وذلك انه قد يجري حكم التغليب على جماعة مأمورين وفيهم من لا يتصف بصفتهم ولكن لاختلاطه بهم، ولكونهم أكثر عددا منه، يشمله حكمهم تغليبا، لأنهم الأكثرون نحو قوله تعالى: (**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**)(الأعراف: من الآية88) إن شعيبا "عليه السلام" لم يكن في ملتهم قط، لان الأنبياء لا يجوز لهم الكفر بأية حال، ولكنّ أتباعه كانوا قبل دخولهم في دينه كفارا فخاطبوا شعيبا بخطاب أتباعه، واجروا عليه أحكامهم، فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا إجراء للكلام على حكم التغليب[١٠٢]، وعلى التغليب أجرى شعيب "عليه السلام" جوابه فقال: (**قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ*قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا**)(الأعراف: 88-89)، وهو يريد عود قومه إلا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب، ومنه قوله تعالى: (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**)(إبراهيم: من الآية13) فقد خاطبوا بقولهم (لتعودون) كل رسول ومن امن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد، لأنهم كانوا قبل ذلك في ملتهم، أما الرسل فلم يكونوا في ملتهم قط[١٠٣] ولكن جرى عليهم حكم الأكثرية، لاختلاطهم بهم، وان لم يكونوا في الأصل منهم وعلى صفتهم.

4- تغليب القليل على الكثير:

وذلك إذا كان المخاطب حاضرا وغيره تبعا له وعلى طريقته فيجري حكمه عليهم، لأنه الأصل.

والمخاطب والغائب إذا اجتمعا في الخبر فان العرب تخرج الكلام على الخطاب فتقول إذا خاطبت رجلا واحدا ومعه آخرون غيّب: فعلتم كذا وصنعتم كذا، وتقول: أكلتم يا فلان أموالكم بالباطل، فتخاطب الواحد خطاب الجمع بمعنى انك وأصحابك أو وقومك أكلتم أموالكم[١٠٤].

ومنه قوله تعالى: (**قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ**)(لأعراف:18) وإنما قال (منكم) بلفظ الجمع، وان كان المخاطب واحدا على التغليب للخطاب على الغيبة، لان المعنى: لأملانّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين[١٠٥].

ونحوه قوله تعالى: (**قَالَ إِذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ**)(الإسراء: من الآية63) أي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغيب،و ليدخل إبليس معهم، لأنه المخاطب بقوله تعالى: (اذهب) بصيغة الامر على وجه التهديد، كما انه الأصل في المعاصي وغيره تبع له[١٠٦].

وقد يكون تغليب المخاطب تأكيدا لنفي الأفضلية عنه، نحو قوله تعالى حاكيا عن قوم نوح "عليه السلام": (**مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**)(هود: من الآية27) خاطبوا نوحا "عليه السلام" وأتباعه بقولهم (وما نرى لكم) أي لك و لمتبعيك[١٠٧]، تغليبا له لتقدم ذكره في قولهم (وما نراك)، كما غلبوه في قولهم (نظنكم) لنفي دعوة النبوة، ودعوى العلم بتصديقه فهم حاولوا أولا نفي النبوة عنه بزعمهم انه بشر مثلهم، ثم استرذلوا المصدقين بدعوته لضعفهم وفقرهم، وصولا إلى تكذيبهم جميعا، لذلك غلبوه عليهم، وليكون التغليب مؤكدا لنفي الدعوتين معا بأبلغ عبارة وأوجزها، ونحوه قوله تعالى: (**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ**)(آل عمران: من الآية55)، الضمير في (مرجعكم) لعيسى "عليه السلام" ومن تبعه ومن كفر به، فغلب المخاطب على الغائبين[١٠٨]، لما ضمهم إليه، واخرج الكلام على المخاطبة، لان العرب كذلك تفعل إذا اجتمع في الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب اخرجوا الكلام خطابا للجمع[١٠٩] ومنه قوله تعالى: (**وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ**)(القصص: من الآية9) أي لا تقتله ولا يقتله إليك الملتقطون، فغلب المخاطب، لان أمر القتل إليه وغيره تبع له وطوع أمره، ونحوه قوله تعالى: (**ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**) (يوسف:49)، قرأ حمزة والكسائي[١١٠] (تعصرون) على تغليب[١١١] المستفتي، لانه الذي خاطبه وما عداه غيب، وغلب

لحضوره، وان كان واحدا، على الجمع لمغيبهم، وفيه دليل على قوة الحاضر، ونحوه قوله تعالى: (**وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً**)(المائدة: من الآية48).

ان الخطاب، وان كان لنبينا(ﷺ)، قد اريد به الخبر عن الانبياء قبله واممهم، ولكن العرب ـ كما قلنا ـ من شانها إذا خاطبت انسانا وضمت اليه غائبا فارادت الخبر عنه ان تغلب المخاطب، فيخرج الخبر عنهما على وجه الخطاب[١١٢] فلذلك قال تعالى (**لكل جعلنا منكم**) أي ايها الناس[١١٣]، فهل تعملون بالشرائع المختلفة؟ او تتبعون المشبه وتفرطون في العمل، وسترجعون الى الله فيفصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل.

فقد جمع بين خطاب الحاضر وخطاب الغيبة مغلبا فيه خطاب الرسول الاعظم(ﷺ) ويغلب النبي(ﷺ) ايضا إذا خوطب خطاب الجمع واريد به هو وامته، نحو قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**)(الطلاق: من الآية1).

فالخطاب للنبي(ﷺ)، والمراد هو والمؤمنون[١١٤]، لان الحكم يعمهم، وفيه تغليب[١١٥] للمخاطب على الغائبين تقديره: إذا طلقت أنت وأمتك، فغلب النبي(ﷺ) بإخراج الخطاب على الجمع وصرفه إلى جماعة المسلمين مع النبي(ﷺ).

دليله ابتداء الخطاب به وحده ثم صرف الخطاب إلى جماعة الناس والنبي(ﷺ) فيهم[١١٦]، لان الحكم شامل له ولهم، ونظيره قوله تعالى: (**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ**)(يونس: من الآية61) ابتدأ الخطاب به(ﷺ)، لان تلاوة القران شان من شان رسول الله(ﷺ)[١١٧]، وهو رأس الأمة وإمامها وقدوتها، فغلبه بتعميم الخطاب له ولامته، وخبر عنهم جميعا بقوله تعالى: (**ولا تعملون من عمل**) تغليبا للحاضر على الغائبين.

ونحوه قوله تعالى: (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ**)(الزمر:30- 31)، فافرده(ﷺ)، ثم غلبه على الغيب بقوله: (إنكم) أي انك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب، أو على تغليب الحاضر على الغائبين[١١٨].

نظيره قوله تعالى: (**وَإِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ**)(النساء: من الآية102)، يعني النبي(ﷺ) ومن يصلي معه، فغلب[١١٩] المخاطب الذي هو النبي(ﷺ) على الغائبين

وهو المؤمنون، والتقدير، فليكونوا من ورائك وورائهم فغلب الواحد على الجمع حين جمعا في الخطاب وقوله تعالى: **(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)** (صّ : من الآية29) قرأ (ليتدبروا) على الأصل و(لتدبروا)[١٢٠] أي أنت وعلماء أمتك[١٢١]، بتغليب الخطاب على الغيبة[١٢٢]، وقوله تعالى: **(وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)**(الأنعام: من الآية132) قرأ[١٢٣] ابن عامر (تعملون) أي أنت وهم، على تغليب الخطاب على الغيبة[١٢٤]، قيل: ومنه قوله تعالى: **(وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ)** (لأعراف:145)، قرئ[١٢٥] (سأورثكم) وعلى هذه القراءة وإرادة ارض مصر من الدار تغليب[١٢٦]، لان المعنى: سأورثك وقومك ارض مصر.

ويؤيده قوله تعالى: **(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا)**(لأعراف: من الآية137)، ومنه قوله تعالى: **(وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ)**(الأحزاب: من الآية51)،

الخطاب في (والله يعلم ما في قلوبكم) للرسول(ﷺ)، ولأزواجه المطهرات "رضي الله عنهن" على سبيل التغليب[١٢٧]، وفيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسول الله(ﷺ) وما فيه طيب نفسه[١٢٨]، وإنما جمعهن لاشتراكهن في ذلك كما جمع المنذرين في قوله تعالى: **(قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ)** (الملك:9)، فالخطاب للنذير ولأمثاله على التغليب[١٢٩]، والأصل: أنت وأمثالك، فادخلوا في الخطاب تغليبا، لان النذير واحد وشملهم الحكم لاشتراكهم في الإنذار[١٣٠].

مما سبق نستنتج أن النص القرآني يراعي في الخطاب تغليب الحاضر والقريب والشريف والأصل والجمع الكثير والحي على الميت في الملة الواحدة أو الاتجاه الواحد.

المبحث الثاني

تغليب المذكّر

يغلب المذكر على المؤنث إذا اجتمعا في احد المواضع، وكانا من نوع واحد، لانهما ان كانا مختلفين في النوع دخلا في باب تغليب العاقل على غيره، وقد تقدم ان التغليب يكون عند الاجتماع، والمراد به التخفيف ايثارا للايجاز في الجملة دون التفصيل، ولما كان "المذكر اخف عليهم من المؤنث، لان المذكر اول، وهو اشد تمكنا، وانما يخرج التانيث من التذكي، الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه

من قبل ان يعلم إذكر هو او انثى والشيء ذكر"[١٣١]، فالتغليب يكون للتذكير لانه الاصل، والمؤنث مزيد عليه[١٣٢]، بدلالة ان (الشيء) مذك، وهو يقع على المذكر والمؤنث، فعلم بهذا عموم التذكير وانه هو الاصل الذي لا ينكسر[١٣٣].

فالتذكير اقوى في اللغة واعلى في الصنعة[١٣٤]، وتغليب المذكر اقوى في القياس، لان لفظ المذكر اصل ثم يدخل عليه التانيث[١٣٥]، فإذا اختلط المذكر والمؤنث في لفظ غلب التذكي، وانفرد اللفظ به، لان الاصل في الاسماء التذكير، والتانيث ثان له[١٣٦]، والعرب تغلب التذكير إذا اختلط بالمؤنث[١٣٧]، لان من شانهم "إذا جمعوا الذكر الى الانثى ان يخرجوا كنايتهما بلفظ كناية المذكر، فيقولوا: اخواك واختاك كلموني، ولا يقولوا: كلّمني، لان من شانهم ان يؤنثوا اخبار الذكور من غير بني ادم في الجمع فيقولوا: رايت مع عمرو اثوبا فاخذتهن منه واعجبتني خواتيم لزيد فقبضتهن منه "[١٣٨]، هذا إذا لم يجمعوا بين جمعين من غير الناس، فإذا جمعوا بينهما غلبوا التذكير في الخبر، نحو قوله تعالى: **(وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)** (الرحمن:6).

قال الفراء: "والعرب إذا أجمعت الجمعين من غير الناس من مثل السدر والنخل جعلوا فعلهما واحدا، فيقولون: الشاء والنعم قد اقبل، والنخل والسدر قد ارتوى فهذا اكثر كلامهم"[١٣٩] وذلك لعموم التذكير، لأنه الأصل فغلبوه، كما غلبوا المذكر إذا اجتمع مع المؤنث من الناس، نحو: رأيت رجالا ونسوة صالحين[١٤٠].

فالتغليب للتذكير لعمومه او شموله ولخفته، لانه الاصل، قال الرضي: "المراد بالتغليب التخفيف فيختار ما هو ابلغ في الخفة وان كان احدهما مذكرا والاخر مؤنثا لم ينظر الى الخفة بل يغلب المذكر"[١٤١].

ان المذكر يغلب على المؤنث إذا اجتمعا لسببين: احدهما: لفظي، والاخر: معنوي.فاما اللفظي فلان الذكورة اصل، والتانيث فرع في اللفظ.

قال سيبويه: "الاشياء كلها اصلها التذكير، ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء والشيء يذكر، فالتذكير اول، وهو اشد تمكنا"[١٤٢]،

فالمذكر قبل المؤنث، وتغليب المذكر إشارة إلى الأصل فيغلبونه، وان كان المؤنث اكثر منه، فيقولون: هذا حادي احد عشر إذا كن عشر نسوة معهن رجل، ويقولون: خامس خمسة إذا كن اربع نسوة فيهن رجل[١٤٣].

وأما المعنى فلان المذكر ـ كما يقول أهل العربية ـ هو الأكمل والأفضل والأنبه والأقوى.

قال الجاحظ: "الذكور والاناث إذا اجتمعا سميت بانبه النوعين ذكرا وباقواهما"[١٤٤]، والمذكر اشهر واقوى ذكرا عند العرب،قال تعالى: **(وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ)**(النساء: من الآية11) دخلت الام في اسم الابوة، كانهم يجمعون على انبه الاسمين[١٤٥].

والمذكر اعم من المؤنث، لانه قد يقع على الذكر والانثى بخلاف المؤنث كما في قوله تعالى (**ان كان له ولد**) فالولد يقع على الابن والبنت[١٤٦]، قال تعالى: (**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ**)(الأحزاب: من الآية32).

قال ابن جني: " ولم يقل كواحدة، لان الموضع موضع عموم فغلب فيه التذكير وان كان معناه ليست كل واحدة منكن كواحدة من النساء"[١٤٧]،لقد جاء العموم من استعمال لفظ (احد) في غير الموجب، لان استعمال (احد) في غير الموجب يفيد العموم في الاغلب[١٤٨].

والمراد نفي المساواة بين واحدة من نساء النبي(ﷺ) وواحدة أخرى من النساء، وقال الرازي: "إن الأمرين إذا اجتمعا غلب الأفضل كجموع السلامة تذكر إذا اجتمعت الإناث مع الذكور"[١٤٩] وقد جرت عادة العرب على تغليب المذكر على المؤنث تنبيها على الأكمل[١٥٠].

قال تعالى: (**يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**) (آل عمران:43) فذكر، وجاء التغليب تنبيها للافضل والاكمل، لهذا لم يقل (مع الراكعات)[١٥١].

قال الرازي: "الكمال للذكور والنقصان للإناث فلهذا السبب متى اجتمع التذكير والتأنيث كان جانب التذكير مغلبا"[١٥٢].

وعلى هذا فالتغليب ليس حكما لفظيا فحسب، بل هو حكم معنوي أيضا يؤتى به بعد ملاحظة اللفظ والمعنى معا، لان له في كل نصيبا.

المبحث الثالث

تغليب التأنيث في التاريخ

إن التاريخ تعيين الوقت[١٥٣] الذي يقع فيه الأمر الموجب لذكر ما بينك وبين شيء متقدم أو متأخر عنك من عدد الليالي والأيام[١٥٤]، وقد جاء في الأسلوب العربي بالتأنيث مغلبا فيه الليالي على الأيام على خلاف المعروف من تغليب المذكر إذا اجتمع مع المؤنث في عامة الأشياء، قال تعالى: (**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**)(البقرة: من الآية51)، وقال: (**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**)(لأعراف: من الآية142)، وقال: (**يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً**)(البقرة: من الآية234)، وقال: (**يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً**) (طه:103).

فقال (اربعين ليلة) ولم يقل اربعين يوما، وقال (عشرا) بالتانيث والعدة على الايام والليالي فغلب الليالي وقد اختلف في السبب الموجب لذلك، فقيل فيه ما ياتي:

1- ان التاريخ مبني على الليالي، لان ابتداء الشهر يكون من الليل بطلوع الهلال وبرؤيته يدخل الشهر الجديد من شهور العرب، والهلال يرى في اول الليل، فالليل في تاريخ العرب مقدم على اليوم، لان السنين عندهم مبنية على الشهور القمرية وذلك لكون اكثرهم اهل البراري الذين يتعسر عليهم معرفة دخول الشهر الا بالاستهلال، فإذا ابصروا الهلال عرفوا دخول الشهر، فاول الشهر عندهم الليل، لان الاستهلال يكون في اول الليل، فلما كانت الليالي هي الاوائل غلبت، لان الاوائل اقوى من الثواني[١٥٥]، فلذلك بني التاريخ على الليالي دون الايام وغلب المؤنث على المذكر، وهذا المذهب عند ابن عصفور فاسد وحجته في ذلك: ان التاريخ بني على احدهما والاخر تبع له، فإذا بنيت التاريخ على الليالي فمعلوم ان مع كل ليلة يوما، ويذهب إلى أن بناءهم التاريخ على الليالي ليس من قبيل تغليب المؤنث على المذكر، لان التغليب إنما هو أن يجتمع المذكر والمؤنث فيغلب احدهما على الآخر، وإنما هذا من باب الاستغناء بالمؤنث عن المذكر[١٥٦]، وقد تبعه على هذا قسم من المتأخرين[١٥٧].

وهذا مردود، لان العرب انما غلبت التانيث، لانهم ذهبوا الى المدة، والمدة تقع على اليوم والليلة[١٥٨]، وبذلك اجتمع للتغليب طرفاه او جانباه ثم غلبوا الليلة، لانها اول المدة، والاول اقوى من الثاني، لقيامه بالمعنى المطلوب منه بالتحديد الصحيح للوقت، فلو ارخوا باليوم لاسقطوا الليلة، لان ابتداء الحساب منها فردوه اليها لئلا ينقص الشهر يوما[١٥٩]، لان مقدار اليوم من طلوع الشمس الى غروبها[١٦٠].

ولما كانت الليلة اسبق من اليوم فهي قبله في الرتبة وجرى الحكم لها، وما ذكرهما الله تعالى الا قدم الليالي على الايام[١٦١]، نحو قوله تعالى: (**يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**)(فصلت: من الآية38) وقوله: (**وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**)(**الجاثية: من الآية5**) **وقوله: ()وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذا تَجَلَّى**) (الليل:1، 2) و(**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً**) (نوح:5) و(**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ**)(الحاقة: من الآية7) و(**سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً**)(سبأ: من الآية 18).

اما باب الاستغناء فهو ترك شيء لعلم المخاطب به[١٦٢]، لانه قد تقدمه ما يدل عليه، نحو قوله تعالى: (**وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ**)(الأحزاب: من الآية35) فحذف المفعول من الحافظات والذاكرات، لدلالة ما تقدم، والمعنى: والحافظاتها والذاكراته فحذف، لان الظاهر يدل عليه[١٦٣]، وهكذا في بقية الباب فليس فيه ـ أي الاستغناء ـ اعطاء حكم شيء لاخر

مشترك معه بصفة ما لعلة توجب تغليب احد المشتركين على الاخر في الحكم، كما في تغليب حكم الليلة على اليوم، لاشتراكهما معه في الزمن المعدود، ولانها الاولى والسابقة، لابتداء العدة بها، قال تعالى: (**يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً**)(البقرة: من الآية234)، فالمتوفى عنها زوجها تعتد هذه المدة، وقال: (عشرا) ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها، قال الزمخشري: "ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام، تقول: صمت عشرا، ولو ذكرت خرجت من كلامهم"[١٦٤].

فغلب الليالي، وان كان الصوم غير متصور فيها حتى قالوا: إن شرطه النيّة وزمانها الليل، وواحده الليلة، لأنه واحد بمعنى الجمع، فكان مبدأ العدة من الليلة.

2- وقيل: إنما غلب التأنيث في التاريخ، لان العرب تستعمل الليل في الأشياء التي يشاركها فيها النهار دون النهار، وان كانت لا تتم إلا به، فإذا كان ثمة شيء يشترك فيه الليل والنهار استعملت له الليل، وان كان شيء يختص بالنهار استعملت له النهار.

ولقد دعاهم تغليب الليلة على اليوم الى ان قالوا: صمنا عشرا من شهر رمضان[١٦٥]، لانهم كانوا يراعون في حسابهم الاهلة للمناسك، وصارت الايام تابعة لليالي لتضمنها الايام بالتغليب، قال ابن قتيبة: "ولا يغلب المؤنث على المذكر الا في الليالي خاصة، وتقول: سرنا عشرا، فيعلم ان مع كل ليلة يوما"[١٦٦]، فإذا ذكرت الليالي دخلت الايام فيها، لذلك ارخوا بها وغلبوها على الايام، واكتفوا بذكرها لتضمنها الايام، وهذا الاكتفاء جاء نتيجة التغليب، لانه لا لبس فيه لكثرة تغليبهم الليالي على الايام.

بدليل انهم إذا ابهموا العدد بين الليالي والايام غلبوا عليها الليالي[١٦٧]، لتضمن الليالي الايام وليس العكس صحيحا، كما ذهب ابن عصفور، لانك تقول سرت عشرا، فعلم انك سرت الايام العشرة بلياليها، اما إذا قلت: سرت عشرة، فسيرك كان في النهار دون الليل.

وهذا يفسر لنا سبب تخصيص الليلة بالذكر في قوله تعالى: (**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**)(البقرة: من الآية51) ففي الاية الكريمة اشارة الى صلة الصوم، لانه تعالى لو ذكر الايام لامكن ان يعتقد انه كان يفطر بالليل، فلما نص على الليالي اقتضت قوة الكلام انه "عليه السلام" واصل اربعين يوما بلياليها[١٦٨]، لتضمن الليالي الايام.

3- وقيل: إنما بني التاريخ على الليالي دون الأيام، لان عدد المؤنث اخف من عدد المذكر، لان عدد المؤنث لا علامة فيه للتأنيث وعدد المذكر لابد فيه من علامة، فلما كان عدد المؤنث اخف بني التاريخ عليه[١٦٩].

وهذا القول لا يصلح للتاريخ وحده، وانما هو عام لكل عدد، وتعليل لدخول التاء عليه مع المعدود المذكر، لانه الاصل وحذفها منه مع المعدود المؤنث لانه الفرع ولا يشترط فيه اجتماع تذكير وتانيث، لانه ليس خاصا بالايام والليالي، لانك تقول: ثلاثة رجال واربع نسوة، فهو تعليل لدخول التاء على العدد وحذفها منه، ولا يصلح قاعدة لبناء التاريخ، لان التاريخ مختص بالعدة التي تقع على الايام والليالي،

المبحث الرابع

تغليب العاقل

ان القران الكريم نزل بلسان العرب، وعلى مجاري خطابهم، ومذاهب كلامهم ومن مذابهم تغليب العاقل على غيره، إذ اجتمعا وكان سبيلهما واحدا، وان اختلفا لفظا، لانهم يريدون ان ياتوا بدلالات ما كانت لتكون لولا التغليب، كالتفخيم والتعظيم والاستخفاف والتقريع بحسب المقامات وهم لم يخالفوا ظاهر الكلام، الا لعروض شيء طارئ يشيرون اليه بمخالفة الظاهر إذا امنوا اللبس، لان مرادهم الجملة والموجود العام، لان التغليب لا يتم الا بالجمع والاختلاط، ومن دون ذلك لا تحصل الغلبة لشيء وهو معلوم، لانهم فرقوا بين الجمادات والحيوانات، كما فرقوا بين العقلاء وغيرهم بالفاظ دالة على كل نوع وافراده، فإذا خلطوا بين نوعين او جنسين في خبر لاشتراكهما في وصف ما، اخرجوا اللفظ مخرجا يتناسب هو والمعنى الذي يريدون.

قال الفراء: "والعرب تقول: اشتبه علي الراكب وحمله فما ادري من ذا من ذا، حيث جمعهما واحد هما انسان صلحت(من) فيهما جميعا.

وانت قائل في الكلام: من هذان المقبلان ؟ لرجل ودابته او رجل وبعيره، فتقوله بمن وبما لاختلاطهما، الا ترى انك تقول: الرجل واباعره مقبلون فكانهم ناس إذا قلت فإذا قلت: هؤلاء قومك وابلهم قد اقبلوا ذهبت بالفعل الى الناس خاصة، لان الفعل لهم، وهم الذين يقبلون بالابل، ولو اردت اقبال هؤلاء وهؤلاء لجاز ـ قد اقبلوا ـ، لان الناس إذا خالطهم شيء من البهائم، صار فعلهم كفعل الناس "[١٧٠]، وتقول: ابلك وراعيها مقبلون[١٧١]، وعندي غلمان وافراس سابقون[١٧٢]، والزيدان والحمر مقبلون، ومررت بالزيدين وفرسيهما المقبلين، وجاء زيد وهند والحمار مسرعين[١٧٣].

فقد جرى حكم المذكر العاقل على غيره، وان كان غيره اكثر منه عددا، ومخالفا له لفظا، لان تغليب التذكير والعقل في الشمول واجب[١٧٤].

وقد جرت عادة العرب بتغليب الكامل على الناقص كلما غلبوا[١٧٥]، فإذا اخبروا عن الذكور والاناث غلبوا حكم لفظ الذكور كما تقدم، وإذا اخبروا عن بني ادم وعن البهائم غلبوا بني ادم على البهائم[١٧٦]، لانهم جعلوا الشريف اصلا والخسيس تبعا وذلك اولى من العكس[١٧٧]، لانه المخاطب والامر اليه في الحقيقة، وغيره تابع له وتحت تصرفه ويعمل بمشيئته، وخلق ما لا يعقل لمصالح من يعقل فهم الاصل في الخلق، كما ان التذكير أصل للتأنيث، وهم الأولون[١٧٨]، لأنهم فضلوا على غيرهم فجعلوا لهم جمع السلامة، كما جمعوا أفعالهم بالواو والنون[١٧٩]، وجمعوا ما لا يعقل جمع المؤنث، لأنه يجري مجرى المؤنث في الجمع[١٨٠] وكل جماعة من غير العقلاء ترجع إلى التأنيث[١٨١]، لذلك كان تغليب المذكر على المؤنث وتغليب من يعقل على ما لا يعقل بابا واحدا[١٨٢].

ويرى أهل اللغة أن تغليب المذكر أقوى في القياس من تغليب العاقل، لان لفظ المذكر أصل ثم يدخل عليه التأنيث وليس كذلك لفظ من يعقل.

والمذكر والمؤنث نوع واحد تميز احدهما بصفة عرضية، وما لا يعقل مخالف لجنس من يعقل، فلم يبق الا التذكير الذي يجمع بين الطرفين، ويتمثل بجمع المذكر السالم، والضمير وهما الجامعان بين البابين.

ووجود مذكر واحد بين جمع من النساء يكون كافيا لتغليب التذكير على التانيث وما لا يعقل يؤنث في الجمع، وان كان كل واحد منه مذكرا من الحيوان، فلما كان كذلك صيروه بمنزلة الموات[١٨٣] لذلك لم يعتدوا بالتانيث في تغليب العاقل على غيره، لأنه يلتبس بالجماد، لان من شان العرب أن يؤنثوا أخبار الذكور من غير بني ادم في الجمع فيقولوا: رأيت مع عمرو أثوابا فأخذتهن منه واعجبتني خواتيم لزيد فقبضتهن منه[١٨٤]، وشانهم ان يذكروا اخبار من يعقل إذا خلط بما لا يعقل عند الاشتراك في الصفات، وهذا يدل على قوة التذكير وقوة غلبة صفات من يعقل على صفات ما لا يعقل لقوة علة العقل والعلم.

وهذا شائع في كلام العرب، وهو أن يعطى الشيء حكم الشيء للاشتراك في وصف ما[١٨٥]، وعلى ذلك جاء قوله تعالى: **(أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ)**(النحل:48)، فقال (داخرون)، لان في جملة ذلك من يعقل فغلب[١٨٦]، ومنه قوله تعالى: **(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ)**(النور: من الآية45)، وانما قال (فمنهم) تغليبا لمن يعقل على ما لا يعقل[١٨٧]، لما تقدم لفظ الدابة، والمراد بها العموم، لانها تشمل من يعقل وما لا يعقل فغلب من يعقل، لما اجتمع مع ما لا يعقل، قال المبرد:

"انما جاز هذا لانه قد خلط مع الادميين غيرهم بقوله (والله خلق كل دابة من ماء)، وإذا اختلط المذكوران جرى على احدهما ما هو للاخر إذا كان في مثل معناه، لان المتكلم يبين به مافي الاخر، وان كان لفظه مخالفا"[١٨٨].

وجعل الزاحف ماشيا، لان المشي لا يكون على البطن، وانما يكون لمن له قوائم، فلما خلط ماله قوائم بما لا قوائم له، حمل اللفظ على الاغلب[١٨٩]، ونحو ذلك قوله تعالى: (**وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ**)(القمر: من الآية28) وانما قال: (بينهم) تغليبا للعقلاء[١٩٠]، حيث اخبر عن الناقة كما يخبر عن الناس[١٩١]كذلك يخبر عن الجمادات إذا اجتمعت مع العقلاء، فيعود الضمير اليهما مذكرا للتغليب،

المبحث الخامس

التغليب في النعوت

إذا اجتمعت صفتان لموصوف معين في سياق، وكانت إحداهما اسبق من الأخرى غلبت السابقة، لأنها الأقوى بالأولوية أو بوعد كان الموصوف قد قطعه على نفسه بتغليبها على غيرها، كما في تغليب رحمته تعالى على غضبه، لان الله تبارك وتعالى قد ذكر انه كتب على نفسه الرحمة فقال: (**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**)(الأنعام: من الآية12) وقال: (**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**)(الأنعام: من الآية54)، كما كتب تعالى تغليب رحمته على غضبه جاء ذلك على لسان الصادق المصدوق(ﷺ) حكاية عن ربه فقال: (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي تغلب غضبي"[١٩٢].

وتغليب رحمته تعالى يعني كثرتها وسعتها وشمولها كل شيء، كما قال تعالى: (**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**)(لأعراف: من الآية156)، وقال: (**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً**)(غافر: من الآية7).

فإذا اجتمعت مع غضبه تعالى في سياق غلبها عليه، لانه تعالى قال: (**وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**)(هود: من الآية110)، وكلمته تعالى هي رحمته التي سبقت غضبه [١٩٣]، وقال تعالى: (**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**) (النحل:18) فانظر كيف غلب بقوله: (**إن الله لغفور رحيم**) رحمته على غضبه بسبب التقصير في اداء شكر النعمة والتفريط فيه، فلا يعاجل بالعقوبة على الكفران فيها[١٩٤]، ونحوه قوله تعالى: (**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**)(آل عمران: من الآية30) فانه تعالى بعد ان حذرهم قال: (**والله رؤوف بالعباد**)، ولم يختم الاية الكريمة بالعقاب، وهو ما يقتضيه التحذير رحمة منه تعالى وتفضلا[١٩٥]، ومنه قوله

تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**)(لقمان: من الآية33)، قيل: (ان وعد الله) بالثواب والعقاب على تغليب الوعد على الوعيد[١٩٦]، بحسبان الوعد في اخير، والوعيد في الشر، وهو المشهور عند ائمة اللغة[١٩٧].

وكلام العرب وعدت الرجل خيرا، ووعدته شرا، واوعدته خيرا، واوعدته شرا، فإذا لم يذكروا الخير قالوا: وعدته، ولم يدخلوا الفا، وإذا لم يذكروا الشر قالوا: أوعدته، ولم يسقطوا الألف[١٩٨]، والقران الكريم استعمل (وعد)في الخير والشر، ففي الخير قال تعالى: (**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**) (المائدة:9) وهو كثير، وفي الشر قال تعالى: (**قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**)(الحج: من الآية72)، ونحوه قوله تعالى: (**غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ**) (الروم2- 6).

فان (وعد الله) مصدر ومؤكد لنفسه، لان ما قبله في معنى الوعد، لان معناه: وعد الله ذلك وعدا، كقولك: لك علي الف درهم عرفا، لان معناه: اعترف لك بها اعترافا[١٩٩]، فكان تحقيق الوعد خير للمؤمنين، لانه حمل البشارة إليهم بالنصر[٢٠٠]، وشرا على المشركين لاندحارهم وانكسارهم فيه وقد جمع الوعد بين الخير والشر.

ولما كان الله تعالى رحيما بالمؤمنين، وقد سبقت كلمته لهم بالرحمة، فإذا جمعهم مع غيرهم غلبهم عليهم، وكان وعده لهم خيرا، وان كان شرا على غيرهم، لان في انتصار الحق خيرا كثيرا، كما جاء الوعد بنجاة اهل الايمان واهلاك غيرهم في قوله تعالى: (**ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ**) (الأنبياء:9)، فكان الوعد رحمة بالمؤمنين وفضلا، وهو الوعد بالثواب والعقاب[٢٠١]، لأنه في إهلاك أهل الكفر والمعاصي، فجمع بينهما مغلبا اهل الايمان على غيرهم، لمجيء الوعد للطرفين وصلاحه لهما دون الوعيد الذي يختص بالعقاب، نحو قوله تعالى: (**ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ**)(ابراهيم: من الآية14) وقوله: (**كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ**)(ق: من الآية14) و(**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**)(ق: من الآية45) أي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار[٢٠٢].

اما في الوعد فجانب الرحمة غالب على جانب العقاب، وقال تعالى: (**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)(آل عمران:106- 107)، فلم ينص على خلود اهل النار في هذه الاية مع انه تعالى نص على خلود أهل الجنة، ولما ذكر العذاب لم يضفه الى نفسه، بل قال:

(فذوقوا العذاب)، مع انه ذكر الرحمة مضافا الى نفسه[٢٠٣]، ومنه قوله تعالى: **(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)** (يونس:107)، فقد غلب جانب الخير على جانب الشر[٢٠٤]، وذلك لما ذكر امساس الضر بين انه لا يرفعه الا الله، وهذا يدل على انه تعالى يزيل المضار، لان الاستثناء من النفي اثبات[٢٠٥]، ولما ذكر الخير لم يقل بانه يدفعه، بل قال: انه لا راد لفضله ولم يستثن، لان مراد الله لا يمكن رده.

وذلك يدل على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول[٢٠٦]، فذكر المس، وهو اللمس[٢٠٧]، مع الضر للدلالة على انه مراد عرضا لا قصدا، وذكر الارادة مع الخير للدلالة على انه مقصود بالذات، كما قال النبي(ﷺ) رواية عن رب العزة انه قال: (غلبت رحمتي غضبي) ويروى (سبقت)[٢٠٨].

ثم ختم الاية الكريمة بقوله: (وهو الغفور الرحيم) وفيه دليل اخر على تغليب رحمته تعالى على غضبه وعقابه، حيث جاء مسك الختام مصرحا بابلغ عبارة على ان جانب الرحمة اقوى واغلب، فكانت المبالغة في الرحمة مادة وبناء، ومنه قوله تعالى: **(مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)**(غافر:40) فقد جاء ذكر الثواب مفصلا في الاية الكريمة بقوله: **(يدخلون الجنة يرزقون فيها)** بخلاف ما يقابل السيئة وقوله (بغير حساب) واقع في مقابلة (الا مثلها)، يعني: ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب، بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة[٢٠٩]،

وفي هذا تفضيل للثواب، حيث جعله زائدا على العمل، لكونه اضعافا مضاعفة وذلك كله يدل على تغليب[٢١٠] رحمته تعالى على غضبه، إذ ضوعفت لمن استحقها، ولم يضاعف موجب غضبه إذ لم يزد في جزاء السيئات، ونحو ذلك قوله تعالى: **(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)**(الأنعام:160)، فقد جعل ثواب الحسنة بعشر أمثالها بخلاف السيئة فانه يجزي مثلها.

هوامش البحث:

(١) لسان العرب، ابن منظور ١/ ٦٥١ (غلب)،
(٢) تاج العروس، الزبيدي ٢ / ٢٩١(غلب).
(٣) ظاهرة التغليب في العربية: كاظم عودة خشان، ٢.
(٤) التغليب في القرآن الكريم: الدكتور عبد الوهاب حسن حمد٣٢-٣٣.
(٥) ظاهرة التغليب في العربية:٤.
(٦) ينظر: الكتاب: 3: 561، المخصص: 17: 111،

(٧) ينظر: الكتاب: 2: 81- 82،
(٨) ينظر: الكتاب: 2: 100- 105،و ينظر 3: 621- 622 و ينظر 4: 128، 365، 384 و ينظر: 4: 460 و ينظر: 4: 119، 129- 130، 136- 137.
(٩) ينظر: المثنى: 4،
(١٠) ينظر: مجالس العلماء الزجاجي: 35- 36، المزهر السيوطي: 2: 190، الأشباه والنظائر السيوطي: 3: 43،
(١١) ينظر: معاني القران الفراء: 1: 151،
(١٢) ينظر: م.ن: 1: 152،
(١٣) ينظر: م.ن: 3: 33،
(١٤) ينظر: م.ن: 2: 391- 392.
(١٥) ينظر: معاني القران لأبي عبيدة: 1: 83- 84،
(١٦) ينظر: مجاز القران: 1: 218- 219، 342،
(١٧) ينظر: م.ن: 2: 161،
(١٨) ينظر: م.ن: 2: 172،
(١٩) ينظر: م.ن: 2: 115، 172، 261،
(٢٠) ينظر: م.ن: 1: 184، 2: 277،
(٢١) ينظر: م.ن: 2: 68،
(٢٢) ينظر: م.ن: 1: 276، 2: 38، 40، 42،
(٢٣) ينظر: م.ن: 2: 83، 93،
(٢٤) ينظر: م.ن: 2: 153، 162،
(٢٥) ينظر: مجاز القران: 1: 18،
(٢٦) ينظر: إصلاح المنطق: 298،
(٢٧) ينظر: م.ن: 299،
(٢٨) ينظر: م.ن: 400- 402،
(٢٩) ينظر: الكامل للمبرد: 1: 143- 144، 3: 247، 304- 305، المقتضب للمبرد: 4: 323، 326،
(٣٠) ينظر: الكامل: 1: 334، 2: 275،
(٣١) ينظر: المقتضب: 2: 50- 51،
(٣٢) ينظر: المذكر والمؤنث: 2: 635،
(٣٣) ينظر: م.ن: 2: 636،
(٣٤) ينظر: م.ن: 2: 637،
(٣٥) ينظر: م.ن: 2: 676- 679،
(٣٦) ينظر: المثنى: 4- 17، المخصص: 13: 227- 228، المزهر: 2: 185- 188،
(٣٧) ينظر: المثنى: 11،
(٣٨) ينظر: م.ن: 53- 62، المزهر: 2: 189،
(٣٩) ينظر: التمام: 107، 238،
(٤٠) ينظر: الخصائص: 2: 354،
(٤١) ينظر: م.ن: 1: 356، المنصف: 2: 157، سر صناعة الاعراب: 1: 220،
(٤٢) ينظر: الخصائص: 3: 336،
(٤٣) ينظر: م.ن: 3: 136- 142، المحتسب: 1: 38، 72- 73،
(٤٤) التغليب في القران:٣٥-٤٢، للأمانة العلمية: استعنت بالمصادر التي رجع إليها الدكتور عبد الوهاب حسن فهو من دلني عليها لذا اقتضى التنويه.
(٤٥) التغليب في القران الكريم: ٤٣.
(٤٦) ينظر: الكتاب: 2: 363- 364، الخصائص: 2: 354، والأشباه والنظائر: 1: 291،
(٤٧) ينظر: الاشباه والنظائر: 1: 136،
(٤٨) ديوانه: 90، وفيه " توافينا " بدل تواعدنا،
(٤٩) ينظر: شرح اللمع: 1: 303- 304،

(٥٠) ينظر: شرح المفصل: 7: 61،
(٥١) ينظر: الاصول في النحو: 2: 120،
(٥٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية: 2: 252،
(٥٣) ينظر: جامع البيان: 18: 130، الجامع لاحكام القران: 12: 314،
(٥٤) ينظر: الكشاف: 3: 77،
(٥٥) التغليب في القران:٤٥.
(٥٦) جامع البيان: 18: 130،
(٥٧) ينظر: الكشاف: 1: 231- 232، أنوار التنزيل: 17، مغني اللبيب: 2: 687.
(٥٨) ينظر: جامع البيان: 4: 152،
(٥٩) ينظر: م.ن: 15: 105،
(٦٠) ينظر: معاني القران: 1: 83، التبيان في تفسير القران: 2: 12، غرائب القران: 2: 19،
(٦١) ينظر: مفاتيح الغيب: 4: 118،
(٦٢) ينظر: جامع البيان: 1: 270، الجامع لاحكام القران: 11: 230، روح المعاني: 1: 332،
(٦٣) ينظر: البحر المحيط: 8: 292،
(٦٤) ينظر: الكشاف: 4: 128، مفاتيح الغيب: 30: 46، أنوار التنزيل: 746.
(٦٥) ينظر: أنوار التنزيل: 42، روح المعاني: 1: 423،
(٦٦) ينظر: مفاتيح الغيب: 3: 182،
(٦٧) روح المعاني: 1: 61، اعراب القران: 1: 99،
(٦٨) ينظر: انوار التنزيل: 385،
(٦٩) ينظر: الكشاف: 2: 469، اللسان: مادة " لفف ".
(٧٠) ينظر: روح المعاني: 23: 72،
(٧١) ينظر: الكشاف: 3: 203- 204، انوار التنزيل: 527.
(٧٢) ينظر: الكشاف: 3: 462، مفاتيح الغيب: 27: 150.
(٧٣) ينظر: مفتاح العلوم: 450، غرائب القران: 20- 60، البرهان في علوم القران: 3: 303، الإتقان: 2: 40.
(٧٤) ينظر: انوار التنزيل: 598،
(٧٥) ينظر: الكشاف: 3: 355،
(٧٦) ينظر: روح المعاني: 23: 138،
(٧٧) ينظر: الكشاف: 3: 80، مفاتيح الغيب: 24: 43،
(٧٨) ينظر: روح المعاني: 18: 207،
(٧٩) ينظر: الكشاف: 3: 80، انوار التنزيل: 475،
(٨٠) ينظر: انوار التنزيل: 537، روح المعاني: 21: 34،
(٨١) ينظر: روح المعاني: 2: 129،
(٨٢) وهي قراءة ابن عباس والحجاج بن يوسف الثقفي، ينظر: مختصر في شواذ القران: 14،
(٨٣) ينظر: روح المعاني: 2: 120
(٨٤) قرأ ابن عامر بالتاء والباقون بالياء، ينظر: التيسير: 122،
(٨٥) ينظر: جامع البيان: 11: 88،
(٨٦) ينظر: مجمع البيان: 5: 117، مفاتيح الغيب: 17: 124، انوار التنزيل: 282، غرائب القران: 11: 92،
(٨٧) ينظر: انوار التنزيل: 719،
(٨٨) ينظر: روح المعاني: 16: 176،
(٨٩) ينظر: جامع البيان: 16: 130،
(٩٠) ينظر: التبيان في تفسير القران: 7: 177،
(٩١) ينظر: معاني القران: 2: 193،
(٩٢) ينظر: م.ن: 1: 478،
(٩٣) ينظر: الجامع لاحكام القران: 8: 375،
(٩٤) ينظر: انوار التنزيل: 503، روح المعاني: 19: 181،

(٩٥) ينظر: الكشاف: 3: 148،
(٩٦) ينظر: انوار التنزيل: 746، 212، روح المعاني: 28: 136،
(٩٧) ينظر: مفاتيح الغيب: 30: 45،
(٩٨) معاني القران: 1: 306- 307، مفاتيح الغيب: 30: 44،
(٩٩) ينظر: التفسير القيم: 495.
(١٠٠) ينظر: مفتاح العلوم: 449، التلخيص في علوم البلاغة: 112،
(١٠١) ينظر: مجمع البيان: 5: 139،
(١٠٢) ينظر: الكشاف: 2: 96، مفاتيح الغيب: 14: 184، أنوار التنزيل: 214،
(١٠٣) ينظر: الكشاف: 2: 370، أنوار التنزيل: 338، غرائب القران: 9: 5، البحر المحيط: 5: 411،
(١٠٤) ينظر: جامع البيان: 4: 152، 166،
(١٠٥) ينظر: التبيان في تفسير القران: 4: 395، الكشاف: 2: 71، مجمع البيان: 4: 405.
(١٠٦) ينظر: الكشاف: 2: 456، مفاتيح الغيب: 21: 6،
(١٠٧) ينظر: أنوار التنزيل: 294، روح المعاني: 12: 35،
(١٠٨) ينظر: التبيان في تفسير القران: 2: 479، أنوار التنزيل: 75،
(١٠٩) ينظر: جامع البيان: 4: 152، 15: 105،
(١١٠) ينظر: التيسير: 129،
(١١١) ينظر: أنوار التنزيل: 316.
(١١٢) ينظر: جامع البيان: 6: 176،
(١١٣) ينظر: الكشاف: 1: 618، أنوار التنزيل: 152،
(١١٤) ينظر: غريب القران، 470، مفاتيح الغيب: 30: 31،
(١١٥) ينظر: انوار التنزيل: 742،
(١١٦) ينظر: جامع البيان: 11: 90،
(١١٧) ينظر: م.ن: 11: 90، الكشاف: 2: 242، انوار التنزيل: 282،
(١١٨) ينظر: الكشاف: 3: 397، انوار التنزيل: 611،
(١١٩) ينظر: انوار التنزيل: 125، حاشية الكازروني: 2: 113،
(١٢٠) وهي قراءة علي بن أبي طالب " عليه السلام "، معجم القراءات القرآنية:٤٥٣/٣
(١٢١) ينظر: الكشاف: 3: 372.
(١٢٢) انوار التنزيل: 602.
(١٢٣) ينظر: روح المعاني: 23: 172،
(١٢٤) ينظر: التيسير: 440، التبيان في تفسير القران: 4: 302، النشر: 2: 263، الاتحاف: 217،
(١٢٥) ينظر: الكشاف: 2: 299، مفتاح العلوم: 450، انوار التنزيل: 191،
(١٢٦) وهي قراءة قسامة بن زهير وابن عباس، ينظر: معجم القراءات ١١٢/٢.،
(١٢٧) ينظر: روح المعاني: 9: 53،
(١٢٨) ينظر: م.ن: 22: 59،
(١٢٩) ينظر: الكشاف: 3: 269،
(١٣٠) ينظر: أنوار التنزيل: 749،
(١٣١) التغليب في القران الكريم:٤٥.
(١٣٢) الكتاب: 1: 22،
(١٣٣) ينظر: المذكر والمؤنث، الانباري: 2: 676،
(١٣٤) ينظر: سر صناعة الاعراب: 1: 13،
(١٣٥) ينظر: الخصائص: 2: 207، الاشباه والنظائر: 1: 308،
(١٣٦) ينظر: الاشباه والنظائر: 3: 92،
(١٣٧) ينظر:المخصص:16: 79، 17: 103، شرح جمل الزجاجي،ابن هشام:360، الاشباه والنظائر: 2: 121،
(١٣٨) ينظر: الاصول في النحو: 2: 427،
(١٣٩) جامع البيان في تفسير القران: 24: 77،

(١٤٠) معاني القران: 3: 112،
(١٤١) المصدر م.ن،
(١٤٢) شرح الكافية: 2: 172،
(١٤٣) الكتاب: 3: 241،
(١٤٤) ينظر: الكتاب: 3: 561، الأصول في النحو: 2: 449- 450، المخصص: 17: 111،
(١٤٥) الحيوان: 1: 31،
(١٤٦) ينظر: م.ن: 3: 250،
(١٤٧) ينظر: الكشاف: 1: 507، مجمع البيان: 3: 149،
(١٤٨) الخصائص: 3: 336،
(١٤٩) ينظر: شرح الرضي على الكافية: 2: 371،
(١٥٠) مفاتيح الغيب: 29: 16،
(١٥١) ينظر: التبيان في تفسير القران: 2: 12،
(١٥٢) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: 1: 347،
(١٥٣) مفاتيح الغيب: 6: 156،
(١٥٤) ينظر: اللسان: مادة (ارخ)،
(١٥٥) ينظر: كشف المشكل: 2: 77، شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور: 2: 77،
(١٥٦) ينظر: المذكر والمؤنث: الانباري: 2: 637، الأزمنة والأمكنة: 2: 274، الأشباه والنظائر: 1: 135،
(١٥٧) ينظر: شرح جمل الزجاجي: 2: 78،
(١٥٨) ينظر: المغني: 2: 660، الاشباه والنظائر: 1: 135،
(١٥٩) ينظر: المذكر والمؤنث الانباري: 2: 638، التغليب في القران الكريم،54.
(١٦٠) ينظر: ليس في كلام العرب: 194، شرح جمل الزجاجي، ابن هشام: 227،
(١٦١) ينظر: اللسان: مادة (يوم)،
(١٦٢) ينظر: الأزمنة والأمكنة: 2: 274، الجامع لأحكام القران: 1: 396، 3: 186،
(١٦٣) ينظر: الكتاب: 1: 74،
(١٦٤) ينظر: الكشاف: 3: 261،
(١٦٥) الكشاف: 1: 372،
(١٦٦) ينظر: معاني القران: 1: 151، الأزمنة والأمكنة: 2: 274، التبيان في تفسير القران: 1: 238،
(١٦٧) ادب الكاتب: 218،
(١٦٨) ينظر: معاني القران: 1: 151، إصلاح المنطق: 298،
(١٦٩) ينظر: الجامع لاحكام القران: 1: 396،
(١٧٠) ينظر: المذكر والمؤنث: الانباري: 2: 625، شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور: 2: 78،
(١٧١) معاني القران: 2: 98، 257، 3: 112،
(١٧٢) ينظر: المذكر والمؤنث، الانباري: 2: 679،
(١٧٣) ينظر: شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: 544،
(١٧٤) ينظر: شرح الكافية: الرضي: 1: 314،
(١٧٥) ينظر: شرح الاشموني: 4: 313،
(١٧٦) ينظر: مفاتيح الغيب: 2: 192،
(١٧٧) ينظر: جامع البيان: 27: 60، معالم التنزيل: 6: 276، الجامع لاحكام القران: 17: 140،
(١٧٨) ينظر: مفاتيح الغيب: 24: 16،
(١٧٩) ينظر: الكتاب: 2: 39،
(١٨٠) ينظر: شرح المفصل: 5: 3،
(١٨١) ينظر: المخصص: 16: 14، شرح المفصل: 5: 48،
(١٨٢) ينظر: المقتضب: 2: 160،
(١٨٣) ينظر: الاشباه والنظائر: 3: 91،
(١٨٤) ينظر: الكتاب: 2: 39،

(١٨٥) ينظر: جامع البيان: 24: 77،
(١٨٦) ينظر: البحر المحيط: 5: 28،
(١٨٧) ينظر: الكشاف: 2: 412،
(١٨٨) ينظر: التبيان في تفسير القران: 7: 448، مجمع البيان: 7: 149،
(١٨٩) المقتضب: 2: 50- 51،
(١٩٠) ينظر: مجاز القران: 2: 68، جامع البيان: 18: 119،
(١٩١) ينظر: معالم التنزيل: 6: 276، الكشاف: 4: 40،
(١٩٢) ينظر: معاني القران: 3: 112،
(١٩٣) ينظر: معالم التنزيل: 2: 121، الجامع لأحكام القران: 1: 157، 14: 199، 20: 121،
(١٩٤) ينظر: مفاتيح الغيب: 18: 70، الجامع لأحكام القران: 8: 322،
(١٩٥) ينظر: الكشاف: 2: 405، أنوار التنزيل: 353،
(١٩٦) ينظر: الكشاف: 1: 423، مفاتيح الغيب: 8: 18،
(١٩٧) ينظر: أنوار التنزيل: 547،
(١٩٨) روح المعاني: 21: 96،
(١٩٩) ينظر: تاج العروس: 2: 536 مادة (وعد)،
(٢٠٠) ينظر: الكشاف: 3: 214، أنوار التنزيل: 534،
(٢٠١) ينظر: أنوار التنزيل: 534،
(٢٠٢) ينظر: الكشاف: 2: 564، أنوار التنزيل: 427،
(٢٠٣) ينظر: أنوار التنزيل: 338،
(٢٠٤) ينظر: مفاتيح الغيب: 8: 189، انوار التنزيل: 85،
(٢٠٥) ينظر: مفاتيح الغيب: 17: 182،
(٢٠٦) ينظر: المقتصد: 2: 702- 703،
(٢٠٧) ينظر: انوار التنزيل: 289،
(٢٠٨) ينظر: اللسان: مادة (مسس)، تاج العروس: 4: 247،
(٢٠٩) ينظر: مفاتيح الغيب: 17: 182، البرهان في تفسير القران: 4: 64،
(٢١٠) ينظر: الكشاف: 3: 429، مفاتيح الغيب: 27: 70- 71،
(٢١١) ينظر: مفاتيح الغيب: 27: 71، أنوار التنزيل: 623،

قائمة المصادر والمراجع

(١) القران الكريم

(٢) اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر لأحمد البنّاء (١١١٧هـ)، دار الندوة – بيروت.
(٣) الاتقان في علوم القران، حلال الدين السيوطي (٩١١هـ) القاهرة، ١٩٥١م.
(٤) الازمنة والامكنة لأبي علي المرزوقي (٤٥٣هـ) ط، الدكن، ١٣٣٢هـ.
(٥) الاشباه والنظائر في النحو السيوطي، الدكن ط٢ ١٣٥٩هـ.
(٦) اصلاح المنطق ابن السكيت (٢٤٤هـ) تح: أحمد محمد شاكر ورفيقه، دار المعارف – مصر ١٩٥٦م.
(٧) الاصول في النحو ابن السراج (٣١٦هـ) تح: د، عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان – ١٩٧٣م.
(٨) اعراب القران المنسوب الى الزجاج (٣١٦هـ)، تح: ابراهيم الابياري – القاهرة ١٩٦٣م.
(٩) انوار التنزيل واسرلر التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي (٦٨٥هـ)، المطبعة العثمانية، ١٣٢٩هـ.
(١٠) البحر المحيط لأبي حجيان الاندلسي (٧٥٤هـ)، مطبعة السعادة، ط١، لا١٣٢٨هـ.
(١١) البرهان في علوم القران لبدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ)تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، ١٩٧٢.
(١٢) تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الزبيدي (١١٨٥هـ)، المطبعة الخيرية – مصر ط١، ١٣٠٦.

(١٣) التبيان في تفسير القران لأبي جعفر الطوسي (٤٦٠هـ) تح: أحمد حبيب قصير العاملي، النجف الاشرف، ١٣٧٦هـ.
(١٤) التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) شرح عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٩٠٤.
(١٥) التمام في شرح اشعار هذيل لأب الفتح ابن جني(٣٩٢هـ) تح: الدكتور القيسي ورفاقه، بغداد ط١، ١٩٦٢.
(١٦) التيسير في القراءات السبع،للداني (٤٤٠هـ) تح: برتزل، استانبول، ١٩٣٠.
(١٧) جامع البيان في تفسير القرا ن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار المعرفة – بيروت ط٣، ١٩٧٨.
(١٨) الجامع لأحكام القران لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ) تح: مصطفى السقا وآخرين، القاهرة، ١٩٦١.
(١٩) الخصائص لابن جني، تح: محمد علي النجار، دار الهدى – بيروت ط٢ ١٩٥٢-.
(٢٠) ديوان القطامي، تح: د، ابراهيم السامرائي، وصاحبه، دار الثقافة، بيروت ط١، ١٩٦٠.
(٢١) روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، محمد الالوسي (١٢٧٠هـ)، المطبعة المنيرية – مصر.
(٢٢) سر صناعة الاعراب لابن جني تح: مصطفى السقا ورفاقه، مصر – ط١، ١٩٥٤.
(٢٣) شرح الاشموني على الفية ابن مالك تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، ١٩٢٩.
(٢٤) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الاشبيلي (٦٦٩هـ)، تح: صاحب ابو جناح، دار الكتب – الموصل، ١٩٨٢.
(٢٥) شرح جمل الزجاجي لابن هشام الانصاري (٧٦١هـ)، تح د، علي محسن، بيروت – ١٩٨٦.
(٢٦) شرح الكافية في النحو،للاسترادي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٥.
(٢٧) لابن برهان العكبري (٤٥٦هـ) تح: د، فائز فارس، الكويت، ط١، ١٩٨٤.
(٢٨) شرح المفصل لابن يعيش (٦٤٣هـ)، المطبعة المنيرية – مصر،
(٢٩) غرائب القران لنظام الاعرج النيسابوري، (٧٣٠هـ) – دار المعرفة - بيروت، ١٩٧٨.
(٣٠) الكامل لأبي العباس المبرد (٢٨٥هـ)، تح: محمد ابة الفضل ابراهيم، ورفاقه، دار الفكر العربي.
(٣١) كتاب سيبويه (١٨٠هـ) تح: عبد السلام هارون، ط١، عالم الكتب، بيروت.
(٣٢) الكشاف، للزمخشري (٥٣٨هـ)، دار المعرفة – بيروت.
(٣٣) لباب التاويل في معاني التنزيل لعلاء الدين البغدادي الشهير بالخازن (٧٢٥هـ) مصر – ط٢ – ١٩٥٥.
(٣٤) لسان العرب ابن منظور الافريقي (٧١١هـ)، تح: عبد الله علي الكبير، ورفاقه، دار العارف، القاهرة.
(٣٥) ليس في كلام العرب لابن خالويه (٣٧٠هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ١٩٧٩.
(٣٦) المثنى، لابي الطيب اللغوي الحلبي (٣٥١ هـ)، تح: عز الدين التنوخي، دمشق، ١٩٦٠.
(٣٧) مجاز القران، لابي عبيدة (٢١٠هـ) تح: محمد فؤاد سزكين، ط٢، ١٩٧٠.
(٣٨) مجالس العلماء لزجاجي (٣٤٠ هـ)، تح: عبد السلام هارون، الكويت، ١٩٦٢.
(٣٩) مجمع البيان في تفسير القران للطبرسي (٥٦١هـ)، طهران – ط٢، ١٣٧٩.
(٤٠) المحتسب، لابن جني، تح: علي النجدي ناصف ورفاقه، القاهرة – ١٣٨٦.
(٤١) مختصر في شواذ القران، ابن خالويه، عنى بنشره: برجستراسر، دار الهجرة.
(٤٢) المخصص، ابن سيده، دار الفكر، د.ت.
(٤٣) المذكر والمؤنث لابي بكر الانباري (٣٢٨هـ)، تح: طارق عبد عون الجنابي، بغداد ط١، ١٩٧٨.
(٤٤) المزهر في علوم اللغة، للسيوطي، تحر: محمد احمد جاد المولى ورفاقه، دار احياء الكتب العربية، ط٤، ١٩٥٨.
(٤٥) معاني القران للفراء (٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت ط٢،١٩٨٠.
(٤٦) معجم القراءات القرآنية، احمد مختار عمر ورفيقه، عالم الكتب القاهرة، ٢٠٠٢.
(٤٧) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الانصاري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت.
(٤٨) مفاتيح الغيب، الرازي، (٦٠٤ هـ)، بيروت، ط٣، ١٩٨٥.
(٤٩) مفتاح العلوم للسكاكي (٦٢٦ هـ) تح: اكرم عثمان يوسف، بغداد، ط١، ١٩٨٢.
(٥٠) المقتضب للمبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت،

(٥١) المنصف، شرح ابي الفتح ابن جني لكتاب التصريف للمازني (٢٤٧هـ) تح:ابراهيم مصطفى ورفاقه، مصر، ط١ ١٩٥٤.

الرسائل الجامعية

(١) التغليب في القران الكريم، عبد الوهاب حسن حمد، دكتوراه، كلية الاداب – جامعة بغداد، ١٩٩٠.
(٢) ظاهرة التغليب في العربية، كاظم عودة خشان، ماجستير، كلية الاداب – جامعة الكوفة، ٢٠٠٣،